لَمْ تَعُدْ

أحمد إبراهيم



لم تعد

دار رواية للنشر والتوزيع

٢٠١٢

لم تعد

أحمد إبراهيم

الطبعة الأولى / ٢٠١٢

دار رواية للنشر

ت : ٠١٢٨١٦١٦٧٩٩

غلاف : عبد الرحمن الصواف

مصحح لغوي: محمد حازم

مدير الدار : أ. محمد إبراهيم محروس

رقابة إدارية وفنية: أ. عمرو المنوفي

رقم إيداع : ٢٠١٢/١٥٦٧

ترقيم دولي: ٠-١٩-٦٣٩٥-٩٧٧-٩٧٨

Email : rewaya١٢@hotmail.com

Email : rewaya١@gmail.com

أحمد إبراهيم

لم تعد

دار رواية للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
٢٠١٢

إهداء

والداي العزيزين...

أراكم تتنهدان ارتياحًا ولسان حالكم يقول

أخيرًا وجدنا لتلال الكتب المتناثرة تملأ المنزل فائدة ونتيجة

إخوتي الثلاثة

أرجو أن تجدوا هنا ما يستحق أن يملأكم فخرًا بي

زوجتي الحبيبة...

تحملت معي الكثير ...

والمشوار مازال طويلاً

هنيئا لك عزومة عشاء " – ربما – هذا الأسبوع.

د/ وفاء مسعود

نادرة هي تلك الشخصية الرائعة..

تعلمت منك الكثير ..وأدين لك بالكثير

أصحاب الطفولة والشباب... رفقاء الكفاح... زملاء العمل.

إليكم جميعًا...

أُهدى جزءًا منى

هو الأفضل على الإطلاق .

خــواء

(١)

ببراعة منقطعة النظير يضع قناعًا على وجهه...

رسم ملامحه بدقة مذهلة كي تتوافق مع الشخصية التي سيؤديها

أمسك حقيبة يده بقوة، ثم نظر للمرآة نظرة أخيرة...وابتسم

انطلق بكل ثقة نحو هدفه، وفي إحدى الحافلات جلس.

اختار مكانه بعناية، واختار رفيق الحافلة بكل احتراف، فالخبرة في هذا الشأن تلعب دورًا هامًا...

كبير مصممي الأثاث بكبرى الشركات، هكذا اقنع ضحيته

وما أن انتهت رحلتهما حتى صارا صديقين.

وأمام إحدى فروع الشركة وقفا

أخرج "المُصمم" من حقيبته بعض التصاميم ليعرضها على رفيق الحافلة

وواحدة تلو الأخرى أمام عينى الرجل – الذي لا يشغل باله سوى تأثيث عش الزوجية – راح يعرضها حتى استقر الرأي على إحداها.

وبعد المعاينة والتفاوض في الأسعار بدأ "المُصمم" يقدم كافة الضمانات لبيان صدقه وحسن نيته، وإن هدفه من كلمة "تحت الحساب" مجرد تأكيد للكلام حتى لا يفاُجأ العميل أن الأثاث المتفق عليه قد حُجز لغيره أو تم بيعه

وبعد قيل وقال .. وكثير من الحبكات، دفع العميل المبلغ المنصوص عليه وأنصرف وقد حصل على كافة الضمانات !!!

(٢)

وأمام المرآة ابتسم ...

يضع اللمسات الأخيرة على قناعه

يعدل من وضع قميصه ... ساعة يده وحذائه.. وكل شيء.

يمسك سماعة هاتفه ليسمع صوتها...

سنلتقي في نفس الكافيتريا ، وينهي المحادثة !

ممتلئ بالثقة كعادته..

ممسكاً يديها بكل حب وحنان، واعدًا إيّاها بأن المستقبل كله رهن إشارتها، وأن زواجهما مرهون بسفره..

أنا وما أملك طوعك يا حبيبي.

ينقلب وجهه ...

يهب واقفا   مُمعنًا في دوره قد يلقي بكوب العصير محدثًا

ضجة هائلة، مُذكرًا إيَاها أن مبادئه لا تسمح له !!!

لن آخذ أموالك أبدا   كيف لك أن تنطقيها حتى !

يلتفت حوله في حيرة   تذوب عيناه خجلاً أمامها...

يمكن أن أقترضها !

تتغير نبرته لتزداد حدة: بشرط أن أسدد كل مليم قبل الزواج...

تنفرج أساريرها   تهز رأسها موافقة بسرعة قبل أن يغير رأيه.

ها هو فارس أحلامها الشهم .. الخلوق ..!

الغير طامع في ملايين والدها ...!

المُصر على تكوين مستقبله خطوة .خطوة..

(٣)

يتأكد من وضع قناعه ... يبتسم للمرآة

يحصي أدواته...حيله ..أفكاره..أدواره.

كل شيء... كل شيء.

ذكي وبارع كعادته.

يعبر "الملهى بخطوات واثقة

أمام إحدى طاولات القمار يجلس ...

ينظر للحاضرين بثبات .. وحذر .

يلعب ويلعب ... ويكسب ويكسب

ينهض متثاقلا في آخر اليوم أو أوله !

يكون قد خسر كل شئٍ !!!

(٤)

بأي قناع سيواجه أحلامه...؟

شرد بعيدا يحصي أقنعته..ينتقي منها واحدًا

يجب أن يضع قناعًا قبل أن ينام

مهلا ... لم لا يجرب شيئًا جديدًا اليوم ؟

سينام بلا أقنعه.. هي المرة الأولى إذن وعليه أن يفعلها..

قرر .. وشرع في التنفيذ ..

نزع قناعه الأخير .. نظر للمرآة ..تلاشت ابتسامته !!!

فطن للحقيقة ربما لأول مرة في حياته

لم ير وجهًا ...!

حتى التلاشي

" بيد مرتعشة أخرجها من إطارها...

بكل حرص أزال عن أطرافها غبار الزمن، وقربها من وجهه

... وابتسم.

تأملها طويلاً... ازداد ضيق عينيه عدل وضع نظارته

مرارًا

وطال صمته كأنه يود لو توحدت اللحظة بتلك الصورة...

لو استطاع حزم أمتعته والإقلاع فوراً إلى الماضي وبلا رجعة...

أن يحط رحاله داخل هذه الورقة ذات الألوان الباهتة...

والوجوه الضاحكة... والحياة الوردية.

تمنى لو بمقدوره اقتناص تلك اللحظة ولو لدقائق...

دقائق كافية لبعث الدفء في أوصال حياته المتجمدة

الراكدة... المقيتة...

الميتة...

يجرفه تيار الزمن بعيداً.. بعيدًا، ومازال عقله هناك...

تلوح به الأيام مرات.. ومرات، فلا تفارق عيناه ملامح

الماضي...

يمر العمر   تدهسه عجلات السنين   يداهمه الزمن بلا رحمة، وتظل يداه تتشبث بتلك الصورة.

(٢)

ببلاهة تنظر لعدسة الكاميرا وفمها يقطر بالبراءة...

تعدل من وقفتها مرارًا، والبسمة لا تفارق عيناها...

- ابتسامة رائعة...ارجعي للوراء قليلاً، باقي الفتيات تقف هنا بجوارك، أما الشباب فليفترشوا الأرض... هيا
- وأنت... ألن تجلس معنا ؟
- لا... يكفيني أن ألتقط هذه الصورة لك... أقصد لكم جميعاً.

(٣)

قيل له   يجب أن تمضى للأمام... أن تنطلق كالجميع...

لكنه مختلف..

يود أن يعيش عالمه.. بمشاعره وأحاسيسه الخاصة..بقواعده ومبادئه التي طالما آمن بها.. وعاش لها..

وسيظل عليها إلى أن يرحل..

لذا توقف.. وأدار ظهره.. ثم انطلق

(٤)

أتراها ذهبت ؟.. تزوجت ؟.. أم أنها مازالت تتألم وحيدة ؟

هل زالت ضحكتها   براءتها.. هدوءها؟

تغلب عليها الزمن.. قهرتها الحياة.. غلبها الطوفان ؟

مازالت معي...

تضحك .. تتكلم ..

وتتألم...

دخل عقلي.. وقلبي..

وداخل الإطار.

(٥)

وطأه الزمن.. بقدمه الغليظة

ترك داخله ثقوبًا...

وترك على وجهه خطوطاً...

وترك على جسده عللاً.. وأوجاعًا

كما افترس روحه بلا رحمة...

(٦)

يفتك الحزن بقلبه...

تمزقه العواطف...

يتخطفه الحنين...

إليها...

يود لو رآها.. لو أنه معها..في دائرتها.

لكنه يحفظها داخل الإطار..

إطار روحه.. وقلبه.. وجسده..

وأحلامه.

(٧)

تمر الساعات.. والأيام..

والصورة لا تفارق وجهه...

يُبعدها.. ويُدنيها..

يغوص داخل خطوطها لحظة بلحظة...

يتوه في غياهبها الضاربة بجذورها في الماضي، علّه يتوحد بها

فيصير كيانًا آخر...

يمر كالطيف من حولها...

يتنفس عبقها...

وينغمس داخلها...

فيرق قلبه...

تسمو روحه...

ترتعش يداه... كما يرتعش الكون من حوله...

فيسقط متهالكاً بجوار الحائط..

ينزوي .. وينزوي..

إلى أن يبتلعه الظلام داخل سجنه السحيق..

ويظل يبكي .. ويبكي.

إلى أن يتلاشى...

• فازت في مسابقة رأس السنة الميلادية لعام ٢٠٠٨ كأفضل قصص العام بالقسم العربي لهيئة الإذاعة الكورية (سيول – كوريا الجنوبية)

نـــداء

يحس كثيرًا أن هناك من يناديه...وهو يقود سيارته يطوى خلفه الطريق .. يشعر أنه يناديه

يقاوم إحساسًا يتملكه أن يفتح باب السيارة ويلقي بنفسه على جانب الطريق ليلبى نداءه، يريد أن يستكشف أفقًا جديدًا لم يعتده أحد ولا يريدُ أحداً أن يتطرق إليه.

لكنه يخشى العاقبة ...

يخاف أن يقال عليه: مجنون

قاد سيارته بسرعة وهو يكاد يشعر بالاختناق، دائمًا يراهم في كل مكان جاثمين على صدره، يحصون أنفاسه ولا يريدونه أن يتنفس، يتمنون أن يخنقوه أو يمزقوه إربًا.

ليس وحده المستهدف بل الجميع، وهذا يشعره بأن روحه تأمل أن تغادر جسده لتريحه مما هو فيه.

وأمام شاطئ البحر توقف.. ترجل وأخذ يمشى حثيثًا..

وأطال نظرة بعيدًا بعيدًا بعيدًا جدًا، إلى نقطة التقاء السماء بالبحر، إلى ذلك الأفق البعيد وكأنه يلقى عن كاهليه ذلك الضيق الذي يخنقه ويكبل حركته.

دائمًا يثير البحر شجونه، يذكره بمن رحلوا ...

بمن كانوا أعز ما يملك   لم يبق منهم سوى أوراق ..

نعم تلك الأوراق التي يطبق عليها بيده، هي كل ما تبقّى منهم.

قاوم دمعة جاهدت لتغادر سجن عينيه وتنطلق حرة على خده تعلن فشله في مقاومتها.

شعر بحرارتها على خده فأزالها بأطراف أنامله، ثم جلس أمام البحر برهة يستقبل أمواجه الثائرة كي يفرغ ما يعتمل داخله من أحاسيس تلهب كيانه.

يرى الأمواج تعلو... وتعلو ثم تنحدر لتصطدم بالصخور في عنف، فتتطاير زخاتها على وجهه وملابسه، لكنه يحمي أوراقه بكلتا يديه كي لا تبتل.

هدأ الموج قليلاً مما شجعه على قراره بأن يُقلب أوراقه..

ليس هينًا عليه أبدًا هذا القرار، فملامحه ليست على ما يرام !

بتأثر شديد فتح أولى أوراقه ونظر إليها وعلى وجهه علامات التأثر الواضح .

أخذ يقرأ أوراقه واحدة تلو الأخرى ومع كل ورقة تتبدل ملامحه، فتارة تراه معقود الحاجبين والغضب يلتهم وجهه كله، ومع أخرى تجده مسرورًا يقهقه، وثالثة ترى الحزن وقد رسم خطوطًا عريضة على وجهه، وهكذا إلى أن وصل إلى آخر ورقاته

وبيد مرتعشة قلبها تطلع إليها، ثم أجهش بالبكاء.

بكاءً حارًا... يائسًا غاضبًا.

بكاء من فقد كل شيء

ودون أن يدرى هبت عاصفة فانتزعت الأوراق منه وألقت بها في البحر..

هب فزعًا محاولاً اللحاق بأي شيء.. يجرى ويجرى .. والموج آخذ في التزايد يغشاه مرة ويخطئه مرات.

أخذت الأمواج تلهو بأوراقه يمنة ويسرة ..كما تلقى بها بعيدًا.. بعيدًا، حتى صار من المحال أن يلحق بها.

توقف بعد أن تخطى الماء مستوى صدره.. نظر إلى أوراقه نظرة أخيرة أودعها مزيج من الألم والغضب..

ضرب البحر بكلتا يديه، ثم عاد أدراجه مرة أخرى.

على رمال الشاطئ الملتهبة ألقى بنفسه وصدره يعلو ويهبط..

لم يشعر بلهيب الرمال فقلبه مشتعلاً بالأسى

ها هو الآن يفقدهم للمرة الثانية دون أن يحرك ساكنًا..

لن يسامح نفسه هذه المرة.. لن يهنأ له بال.. لن ينام ثانية..

سيفعل شيئاً هذه المرة ولن يسمح لهم أن يذيقوه مرارة الفقد والحرمان مرات ومرات..

لن يلقي بنفسه من السيارة

ولن يقاوم إحساسه هذه المرة..

سيلقي بنفسه بينهم في وسطهم

سيقولون عنه مجنون.. إرهابي..أو ربما انتحاري

لكنه حتماً سيصير شهيداً.

صفحات

(١)

"إنه الفجر...

عقلـه مـازال يقظًـا تتلاعـب بـه الأفكـار، تتـداخل وتتلاحـق بـسرعة جنونيـة حتـى لا يكـاد يمـسك بإحـداها فتـدفعها الأخرى نحو تلك المنطقة الرمادية

منطقة اللا عودة..

واللا فعل..

والسلبية المطلقة..

تلك المنطقة التي تشغل ثلثي عقله، تولِّد الأفكـار ثـم تـدفعها للعدم..

كثيرًا ما قرر أن يفعل ..

لكنه لم ينفذ أبدًا..

تردده وسلبيته يحولان دون تحقيق أحلامه..

خوفه من المجهول يكاد يخنق طموحه..

يستشعر روحـه طـيرًا جامحـا.. خفـاق الأجنحـة.. لا تحـده أسوار.. ولا تخنقه حدود

مكبوت هو..

مُكبَّل من رأسه لقدميه

يثقل كاهله طبيعة حياته، تلك التي فرضت أغلبها عليه..

يدمى قلبه حنينه لعالم يضع قواعده بنفسه، كما يعـيش فيـه مع نفسه

يُشتت عقله طرق أفكاره بداخله.. صداها بـين خلايـا مخـه.. وروحه.

(٢)

إنه الفجر..

توضأ وتأهب للصلاة

بين يدي ربه يقف.. تنساب الدموع داخل قلبه..

يود لو توقف الزمن به فلا يشعر سوى بقوى الإيمان تخطف روحه..

نور الخشوع يجتاح كيانه

يذوب حبًا لله.. ولرسول الله.. وكتاب الله

يذوب حنينًا للحظات العبادة الصافية ..تلك اللحظات التي لم يعد قادرًا على التفرغ لها

صارت حياته قفزات .. ووثبات

يتألم من فقدانه نسمات العبادة

يشعر بانجذابه للاتجاه الخاطئ..

شيئًا فشيئًا..ربما يتلاشى وهو مذنب

تراوده الهواجس عن سوء الخاتمة..يراها بعين الخيال ولا

يقدر على تحملها

تتخطفه المعاصي..فيهوى وينهض

يقبض على الجمر.. يُلهب قلبه وروحه

يا الله.. ثبته على دينك

(٣)

إنه الفجر..

يحبها..

من كل قلبه

يحبها..

من صميم روحه

يحبها..

من أعمق أعماق كيانه..

سقطت حصونه أمام هدوئها ..جمالها ..إصرارها اللذيذ..

لم يعـــد بمقـــدوره ســوى أن يـــذوب داخـــل ابتـــسامتها

البريئة..ووجها الطفولي

لطالما أحب البراءة..

وكم عشق الهدوء..

وكم هام بالبساطة..

- اظفر بذات الدين ..هكذا نطق لسان حاله...

حلم عمره أن يلقاها..

وكم يدرك استحالة أحلامه..

لذا يعشق المستحيل!

دائمًا ما يثيره ..يطلق طاقاته اللامحدودة..

أحبها

وصارت رمزه الأبدي..

زهرة حياته المتألقة..

ملاذه الهادئ ..

صارت نفسه نبض قلبه

وشريكة حياته.

(٤)

إنه الفجر..

حياته..

تلك الأمواج الثائرة

تلك الأنشودة متعددة القوافي والأبيات..

تلك المعزوفة التي تطلقها ملايين الآلات..

ذلك اللغز متعدد الأجزاء..

ذاك الليل الغارق في الوحدة والظلام..

حياته..

رد الفعل الدائم دون القدرة على المقاومة

نقطة في بحر هائل تتسارع لتجد مكانًا لها على المسرح

دوائر تتسع دائمًا لتبتلع كل شيء..

ونبتة أمل وحيدة ..داخل صحراء مترامية الأطراف

(٥)

إنه الصبح..

تتأهب جميع التروس لتأخذ مكانها..

يتأهب الوحش الكاسر ليلتهم ما تبقى منهم..

ويتأهب هو لينام!!!

فاليوم إجازته الأسبوعية.

فجر
جديد

(١)

" اشتاق إلية بشدة..

منذ أعوام مضت ولم تداعب أنامله قلمه العزيز..

قلمه الذي طالما أمسك به كلما شعر بشيء ما..

ضيق.. ألم .. حزن .. سعادة...

مشاعر شتى صاغها قلمه، واحتوتها أوراقه بعد أن ضاق بها صدره.

يوم ما لم يجد رغبة في الإمساك بقلمه من جديد.. شعر أن روحه قد نضبت ..

وأن عواطفه قد جفت.. وأن الكون لم يعد به ما قد يستفز مشاعره.

وأن حياته صارت لوحة بيضاء.. وأن ما بها لا يتعدى بعض رتوش .

هدأت ذبذبات حياته .. لم تعد كالسابق منحنيات مجنونة تسابق بعضها البعض..

لم تعد ثائرة   لم تعد عاصفة...

صارت ريشة تتهادى .. بملل...

صارت ورقة شجر تسقط .. بلا روح...

صارت بحيرة رائقة   راكدة...

صارت حياته موتًا...

والآن يشتاق لقلمه !

يشتاق لأن يحاوره.. لأن يداعبه...

أن يمزجه بمداد ما علق بروحه .. ويلقي به على الورق..

مدفوع بتلك القوة نهض يبحث عنه في كل مكان..

درج المكتب.. بين الأوراق   بجوار الهاتف.. أو ربما تحت السرير !!

تمتد أنامله تحتضن القلم بشوق عجيب.. تزيل عنه الأتربة بكل حب .

تنهيدة حارة أودعها ما تبقى من خوفه على فقدان قلمه، خرجت من أعماق نفسه.

لم يكن يتوقع أن تتراكم الأتربة بهذه السرعة على قلمه .. وعلى روحه

أن يمد عنكبوت شقي بعض خيوطه حول القلم القابع في سكون، في إحدى زوايا الحائط أسفل السرير..

وأن تمتد الخيوط لروحه   تجتاح مختلف الزوايا القريبة

والبعيدة   حتى التي طواها النسيان..

امتدت إليها الخيوط تعزلها عما حولها.. تقسمها أجزاء

عديدة وتذيب الروابط بينها..

والآن فقط ينتفض ليمحو ما أصاب حياته...

الآن يندفع المنحنى إلى سابق عهده   يبلغ الذروة...

الآن ترتعش أوراقه تحت وطأة عواطفه

الآن فقط يشعر بإنسانيته !!

(٢)

ظل يكتب   ويكتب .. ويكتب

وقلمه يخفق بين أنامله..

وقلبه يخفق بين ضلوعه

وروحه تخفق داخله..

وحبه ماثلٌ أمام عينيه !!

نعم حبه..

هذا الذي حرك داخله ما طوته السنون..

ما ظن أنه لا وجود له..

أن سعيه نحو البراءة والصدق حتمًا لا طائل منه..

اشتاق لقلمه حين رآها ..حلم تجسد في واقعه..

حين احتضن كفها الرقيق فانسابت داخل خلاياه..

حين قالت أنامله لها ما لم يقدر على البوح به أمامها..

حين شعر أنه يملك الدنيا بها ومعها..

حين تبتسم عيناها..

حين تذوب خجلا

حين قالت شفتاها "أحبك.

حين قالت عيناها: " أحب.. حبك

لحظتها هرع إلى قلمه.. وهرع قلمه إليه !!

أمسكه .. وانطلق يداعب أوراقه

يكتب عنها هدوءها جمالها روحها المتألقة..

خجلها.. ذلك الذي ظنه لم يعد لكنه عاد !!

كم أحبها كم صارت حياته كم صار لا يقوى على فراقها..

كم صارت واقعًا فاق جميع أحلامه..

كم صارت قمرًا..أضاء ظلمة روحه..

كم صارت بدرًا   يحيل حياته بهجة وأمل..

كم صار المستقبل كله لها   وبها.. ومعها..

وكم كانت معجزة أن تعيد إليه عواطف طوتها السنون

والأدهى من ذلك أنه عاد لقلمه !

(٣)

مع نداء الفجر الأول.. ابتسم

ممسكا بقلمه خط جملته الأخيرة:

" أحبك.. يا حلم عمري"

تلك اللحظة

(١)

" إضاءة خافتة هي كل ما يرجوه في تلك اللحظة التي يتوقف عندها الزمن.

نادرة هي تلك اللحظات التي تذيب فوارق الحياة...

لا زمان... لا مكان .

يتجمد الهواء   تتلاشى الصور من حولك ..

تتسع عيناك ذهولا ونشوة علّها تحتوى لحظتك هذى بكل ما فيها من عبقرية وعظمة.

شلال هائل   هادر ... عملاق

ينساب من أعلى نقطة بالسماء ليهدر أمام عينيك

يحبس أنفاسك انبهارا

يخطف روحك إجلالا

يهدر أمام عينيك فلا تقوى إلا على الحملقة مدهوشًا

معجزة تراها عيناك   ويشعر بها قلبك

وتلامسها يداك

سكون تام هو كل ما ترجوه في تلك اللحظة التي يتوقف

عندها الزمن .

زلزال عواطف يجتاح كيانك...

بركان مشاعر يلهب حواسك،تحاول كبح جماحه ولكن

هيهات

هي اللحظة التي يتسع قلبك ليحوى الكون ...

هي اللحظة التي ترتعش شفتاك بأصدق ابتسامة في عمرك

هي اللحظة التي تنهمر فيها دموعك فرحا وحبا

وحنانا

بسم الله ثم تحاول حمله بكل حرص الدنيا

يداك ترتعشان خوفا أن تصيبه بأذى ...

ذاك الجسد الواهن ... الهش..

صار حياتك الأخرى ...

عنوان كتابك الأبدي ...

كنزك الخاص ...

وأسطورتك الخالدة

ببطه تحمله، وبكل حنان الدنيا ترفعـه لأعلـى فتتلـوى يـداه

وتميل رأسه اعتراضا على تبديد سكون دنياه

تدنيه من وجهك لتطبع قبلة حانية على ذلك النسيج الرقيـق

الشفاف ذي الخطوط الحمراء الدقيقة

تهمس بأذنه أحبك يا نفسي

(٢)

أمواج بحر عاصفة هي كـل مـا يرجـوه في تلـك اللحظـة الـتي

يتوقف عندها الزمن

يتدافع الآلاف

مبعثـرين في كـل اتجـاه كمـن قـذف في وسـطهم بكـرات مـن

الجحيم ...

يلوذ كل منهم بالفرار في محاولة يائسه بائسة ..

مستحيلة

يغشاهم اللون الأسود من كل جانب

يطبق عليهم كالموج الغاضب

يمطرهم بالقنابل والخرطوش

يسقط العشرات ...

تتناثر الأشلاء

ويزداد الصوت علوا !!!

" الشعب يريد إسقاط النظام

تتدافع الجمال والخيول ...

السيوف والخناجر

القناصة والقنابل

والصوت يدوى أكثر وأكثرٍ

" الشعب يريد إسقاط النظام

أمسك هاتفه ليرد عليها

حبيبتي صدقيني أنا هنا من أجله

أنا أكتب تاريخه

لا أريده أن يرى ما نحن فيه

أريده أن يحياها أفضل إن شاء الله

(٣)

ظلام دامس هو كل ما يغشاه في تلك اللحظة التي توقف عندها الزمن .!

برودة قارسة ... ورائحة غريبة تُزكم الأنوف

أدراج عديدة تراصت فوق بعضها تملأ الساحة

بعضها مغلق والآخر مفتوح تعلوه ملاءات بيضاء لُطخت بلون أحمر في بعض جوانبها.

يرى المشهد من أعلى

يمر حوله كالطيف ..

وجوه رحل عنها بريق الحياة

ترقد قابعة تنتظر وجوها أخرى ...

تنتظر وجوها تصدعت منذ أعوام ...

أنسكرت تحت وطأة ضربات الظلم والقهر والاستبداد

تتشح سوادًا في القلب والنفس

تنوح فتنخلع القلوب..

تبكي وتلطم الخدود فتنهار النفوس ...

تتحامل رويدا رويدا لتنظر في أحد الأدراج..

تتفحص أجساد هامدة علّها ترى ملاذها

علّها تخمد نارًا اشتد لظاها وطال مداها كل بيت ... وكل

قلب.

علّها تظفر بنظرة تطفئ ظمأ قلبها

الطفل يبكي على كتف أمه من قتامة الجو والرائحة ...

لم يكمل عامه الأول ..

يحني رأسه في ذهول ...

ينظر للجسد الخامد بلا حراك

يمد يده محاولا الوصول لرأسه ليهزها

ثقب دقيق يعلو الجبهة

عبر من الجهة الأخرى ليسطر كلمة النهاية لروح تاقت

للحرية.

(٤)

لون أحمر هو كل ما تبحث عنه في تلك اللحظة التي علق بهـا الزمن

تمر الأيام والسنون

تتبدل الوجوه والأحوال

يُسطر التاريخ مرارا ومرارا

تقف على الحافة لا يأبه بها أحد

نار الشوق والثأر تأكلها وتأكل فتاها

تنتظر بشغف ولهفة...

تدعو ربها كل صلاة   ليس لها سواه

وبعض الذكريات ...

ولون أحمر وقصاص عادل ...

وغد أفضل .

وسنون عديدة تمر ...

إلا تلك اللحظة التي علق بها زمانها ...!

أبى إلا أن يمر عليها

يسحقها بلا هوادة .

عقلية
إجرامية

"سيفعلها هذه المرة...

ولـن يثنيـه أحـد عـن جريمتـه مـا دام قـد عقـد العـزم علـى المخاطرة...

تمنى كثيرًا أن يجازف ويفعلها، لكنه كان ضعيفًا غـير قـادر على القيام بهذه العملية الخطيرة التي تتطلب عقـلاً إجراميًـا عالي المستوى يتولى وحده التخطيط والتنفيذ دون إقحـام أحـد يفسد عليه خطته.

اختمرت الفكرة في رأسه وسال لها لعابه ....

سيتسلل داخل الحجرة بعد أن يرحل أهل المنـزل ثـم بـضربة جهنمية... يستولى على الكنز ...

نعم الكنز الموجود بالخزانة يعلم أنهم يضعونه في خزانـة الملابس للتمويه كي لا يعلم أحد بأن هناك كنـزًا.. بـل وكنـزًا ثمينًا أيضًا

ذلك الكنز يمثل له طفـرة في عـالم الإجـرام، فكـل المجـرمين أمثاله يخشون مجرد التفكير في الحصول عليـه، مـع أن ذلـك الكنز أقصى ما يمكنهم نيله.

يخشون أن يرتكبوا فعلته، لأن العاقبة قد تكون وخيمة حين يكتشف أحد ضياع هذا الكنز.

لكنه بخطوات واثقة ظل يمضي نحو هدفه

خطوات اكتسب ثقتها منذ شهور قليلة فقط، فقد كان الماضي يتأرجح حينما يحاول الحصول على كنزه، لكن مع تكرار المهمة أصبح ذا خبرة عالية في الوصول إليه .

لكنه لم ينجح من قبل ....

وصل إلى الخزانة والتفت حوله ، فلم يجد أحدًا فجذب أقرب كرسي إليه بكل قوته وبخفة ورشاقة راح يصعد حتى وصل إلى هدفه !

الخزانة.. وبحركة خاطفه فتحها على مصراعيها وتطلع بنهم شديد إلى الكنز القابع تحت الأضواء، وبلهفة شديدة أمسك به بكلتا يديه، وعيناه مدهوشتان لذلك البريق اللذيذ الذي يحيط به من كل اتجاه

ثم امتدت يده إلى أول قطعة ففض غلافها ثم التهمها..

شعر بطعمها المحبب له فتناول أخرى ... ثم أخرى حتى التهم الحلوى كلها!

لم يعنيه ما سيلاقيه بعد ذلك من اللوم أو العقوبات... لم يدر بخلده ما ستفعله به والدته حينما تكتشف التهامه لعلبة الحلوى..

ولكن ما دار بعقليته الإجرامية هو أن والدته سوف تندهش من مقدرته على معرفة مكان الحلوى ، بل الحصول عليها رغم أنه تعلم المشي منذ شهور فقط !

بين أناملك

" داعبت أنامله طرف الخيط   جذبه بقوة كادت توقع بتلك
" البكرة " الموضوعة على مكتبه..
تأملها كثيرًا   وهزّ رأسه في فخر
يحب هذه " البكرة " والخيط المتدلي منها، كما يحب تلك
الشمعة التي تجاورها..
- كيف تضع هذه الأشياء على مكتبك ؟!
مسكينة زوجته   لا تدرك مغزى هذا الخيط الذي تتداوله
أنامله، تظن أن " البكرة " هدية من حبيبة سابقة
هو أيضًا لا يعي ما الذي يربطه بتلك " البكرة "
يعشقها ويحب امتلاكها
يشعر بلذة عظيمة عندما يجذب طرف خيطها فينساب بين
يديه
كما يهوى إشعال شمعته   ورؤية لهبها الخافت ..
ذلك اللهب الهادئ .. البارد.. القاتل ...
مثله تماماً
يجد نفسه حينما يُحاط بتلك الهالة
مكتب عظيم، منزل لا مثيل له   حراسة   قيادة..

اتسعت ابتسامته   امتدت أصابعه تضغط فتيل شمعته..

يطفئ لهبها   يشمخ بأنفه

تتمدد خواطره   تحلق فوق الأرض   كما يريد تمامًا

يشعل ثقابه   تلتمع عيناه مع الضوء المتأجج   يشعل شمعته !

كل ما يريد قيد أنامله   كخيطه الذي يجذبه بهدوء..

وبعنف.

يمسك بالهاتف   يتحدث ، فيعلو صوته .. ويخفت .. يبتسم .. ويغضب.

يأمر .. فيطاع !

لا يهمه ما يُقال عنه، غبي   متهور   أو حتى مريض

المهم أنه راض عن نفسه

وأن الخيط في يده..

نظر إلى أنامله طويلاً   ازداد بريق عينيه ..

روحه الوحشية، وعقله الغبي، وقلبه المريض   ينهشونه نهشًا

يجذب طرف الخيط .. يلمس لهب الشمعة .. يشتعل !

يضحك   يقهقه.. يحلق عاليًا

يبسط جناحيه على خريطته، تحتل جدارًا كاملا في مكتبه

تحوي   العالم

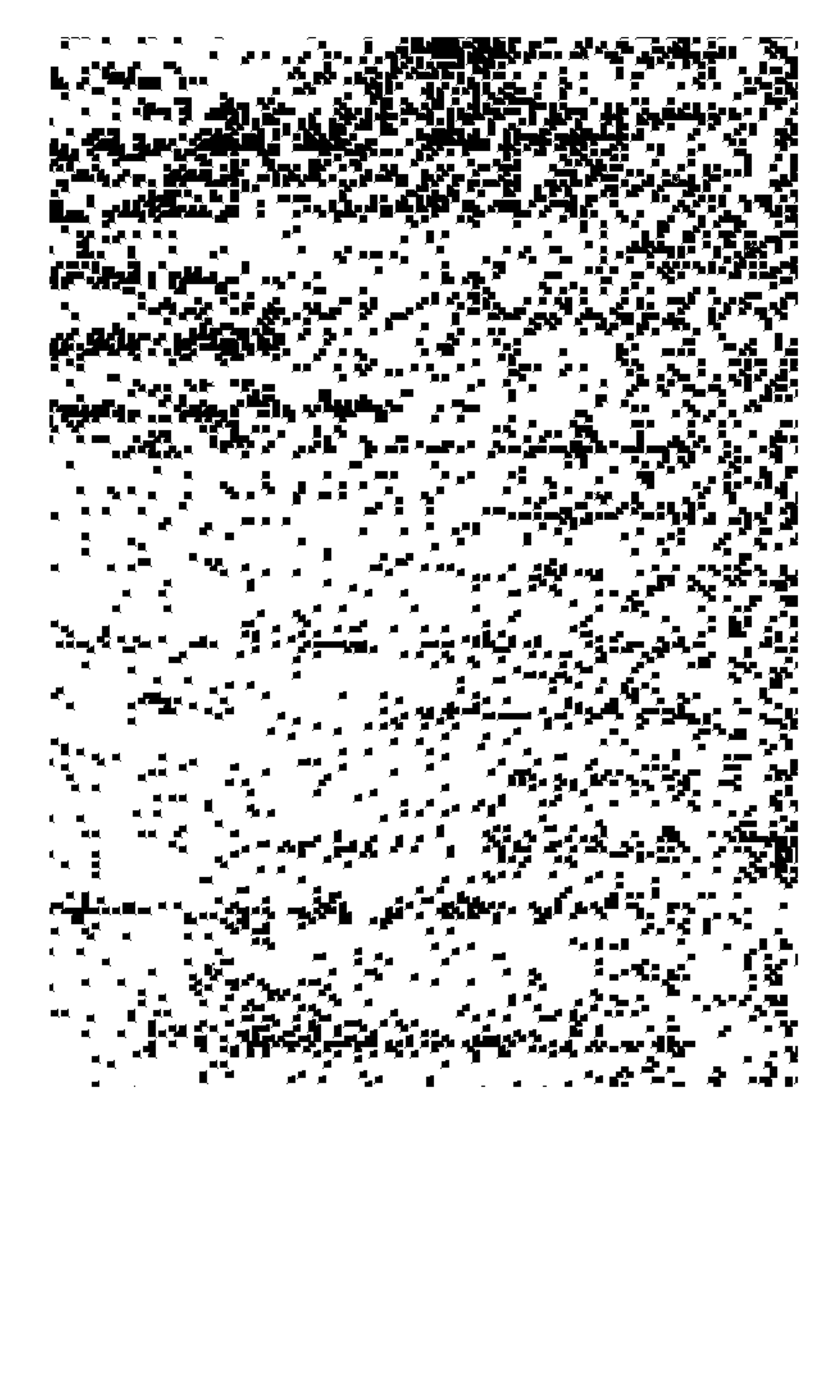
يشتعل الطرف   تشتعل " البكرة "   يلطمها بيده بعيـدًا

يسحقها بحذائه طويلاً .. تتحول ضحكته إلى صرخة!

صرخة نشوة ..ونصر !

يمسك هاتفه .. وانفعالاته

ببرود معتاد .. يعطى الأمر بالهجوم



واحدة

(١)

" تحمله بكل قوة، تلقيه على شواطئ الكلمات، تضعه بين الأوراق، وتضع أمامه خيارًا واحدًا..

: يجب أن تكتب وإلا..

لن تنام   لن يهنأ لك بال   لن تنجز أيًا مما تود عمله..

سوف أمنحك العديد والعديد من التخيلات واللامنطقية

أحيل حياتك فوضى .. أحيل نومك قلقًا..

أبعثر عقلك   فأجمع شتاتك وأعود لألقيك بقسوة ..

أحدد لك المساحة   قلمًا وعدة خطوط ..

على ورقة بيضاء   ولك ما شئت !

ستفعل ..؟!

(٢)

يحاول أن يتماسك   لا فائدة

يعتصر رأسه بين راحتيه   يهب فزعًا من جلسته

تحجبه جدران حجرته عن الفتك بأي شخص ... يظل يتنقل بين جدرانها راكلا إحداها بقدمه تارة وبيده تارة أخرى

إنها هنا .. معي   داخلي   تمحوني .. تحتويني...

تحيل حياتي حياتها تمتزج بي ، وتمزجني...

أشعل سيجارته نفث دخانها صانعًا منه دوائر، تسابق بعضها البعض .. نحو التلاشي

(٣)

لا تكابر .. لن تصمد أمامي كثيرًا..

اعلم أن الأمر شاق عليك لكنه قدرك .. لن تقدر على الفكاك ، سأطاردك .. ولن تهرب ..

أنا داخلك.. هيا تخلص مني ..

انطلق !

(٤)

انكب على أوراقه

مدفوعًا بتلك القوة الجامحة ، راح يحرك قلمه فوق الإطار الأبيض صانعًا كلمات شتى

يسمونها " لحظة التوليد

راح يخرجه من رأسه ببطء باندفاع بغضب بألم

يئن يتوجع يصرخ ثم يبتسم فرحًا.

يسقط مجهدًا بعد ذلك الصراع المرير

والآن يتأملها بكل حنان الوالد ! !

لا يرضى لها بأقل من التميز   لذا تستنفذ كل طاقته

تلتهمها عيناه مرات ومرات   يمر قلمه فيضيف أو يمحو شيئًا ما

يعيد التهامها   ثم يتنهد ...

تنهيدة حارة أودعها ما تجيش به نفسه .. تخلص منها أخيرًا

خلّدها داخل إطارها   وضعها في محيطها   صاغها بعقله وقلبه ..

كم يحبها   حين تنساب بين السطور ..

وكم يمقتها حين تومض بعقله .. وتحتويه

متى تأتي ..؟ متى تومض..؟ لا يهم...

المهم أنه اعتاد عليها

أحبها.. وصارت واحدة أخرى ...

من "بنات أفكاره" ! !

إلا علي

(١)

" أمازلتِ تذكرين ذلك اليومِ...

وهذا المكان...

وتلك المنضدة...

وذاك الوجه... وجهي!

عيناي ... عيناي التي ما عادت ترى سواكِ...

وهذه يدي   تلك التي امتدت إليك بسلام، تسبقها ابتسامة فاضت من قلب نبض بحبك...

هذا المكان... وتلك المنضدة التي ما عدت أجلس عليها بعد أن رحلتي ...

(٢)

يقف على بعد خطوات من المنضدة، لا يقوى على الاقتراب...

لم يعد قادرًا على الابتعاد...

حاول أن يتماسك... أن يبدو متماسكًا، لم يستطع...

داهمته الخواطر، لاحظ الجميع هذا...

نظراته الشاردة.. وجهه المُظلم.. لحيته النامية بلا انتظام..

قدماه المرتعشتان.. روحه المثقلة بالهموم...

وقلبه ...ذلك العجوز...

اقتربت منه إحداهن، بصوت ملأه الإشفاق تساءلت: ماذا بك؟

– أتعلمين ...كان هذا أول يوم رأيتها !

هذه الساحة.. وتلك المنضدة...

نفس الوجوه نفس الازدحام...

كنت أقف هنا منذ عام !

أحنى رأسه في انكسار منتظرًا أن تلقي سؤالها الآخر: وما الذي حدث؟

لكنها فهمت

عيناه.. نظراته.. ملامحه..روحه..كلها تشي بإجابة واحدة، لذا آثرت الصمت.

ارتبكت فشعر بذلك، بادرها: تُرى هل تعي معنى ذلك اليوم؟

أم أنه سقط منها؟

معذورة.. ليس الأمر بيدها، لكنه ليس بيدي أنا الآخر

لم تجد ما تقوله له، هزت رأسها ولم تُعقب. أيقنت أن الوقت

ليس في صالحها فانسحبت.

وحيدًا بقي..

ووحيدًا سيظل..

يجرع مرارة ويصمت .. يتألم ولا يتفوَّه.

ذاك قدره...

أحبها وما عاد يرى سواها في هذا الكون.

أحبته .. وما عاد يجدي النصح...

لذا وجب أن يبتعدا... أن يفترقا

ولأنهما خطان متوازيان ...مستحيل أن يلتقيا أبدًا

(٣)

من يومها لم تفارقه لحظة..

يراها بين ذرات الهواء... تصبغ كل حياته..

في الشارع يراها.. بنت الجيران التي لا تمل الوقوف في "بلكونة" البيت...

في الأوتوبيس.. تلك المراهقة التي تجلس بجواره، تختلس النظر إلى جريدته التي يقرأها...

تتسابق لتجاوره في المحاضرة فيوقن أنه لن يفهم منها أيًّا مما سيُقال...

يراها تتأبط ذراع حبيبها في إحدى الحدائق العامة...

هي التي يلقاها مع أصدقائه أمام إحدى "السينمات" فتحلو لهم معاكستها...

بطلة المسلسل الذي يحرص على مشاهدته...

تقتحم سيارته في إشارات المرور، تُجبره أن يشترى منها "الفُل"

يراها في أغنية لعمرو أو هشام...

في أروع ألحان خيرت ...

في كوب الشاي الذي يحتسيه في ليالي الشتاء...

يلقاها نسمة صيف أمام بحر صافٍ موجه...

هي أمه.. أخته.. صديقة عمره...

هي رمز كل رواياته..

حلم كل لياليه..

أمسه ويومه وغده..

تلك التي جعلت لحياته معنى.

يصحو ليراها... ولا ينام إلاّ إذا اطمئن عليها؛ لذا لم يعد يعرف للنوم طريقاً...

تدهسه عجلة الحياة... تنسيه نفسه ، فيتهافت لسماع أخبارها...

بسمع صوتهـ ربما كل شهر... فيغلق السماعة..

هذا يكفيه..

ربما لن يراها ثانية لن يكلمها مرة أخرى.

هي دائمًا معه لا يمل الحديث معها.

(٤)

مرّ عام...

نفس الساحة ..الوجوه.. الجدران .. المنضدة...

نفس الهواء .. الرائحة..الحياة...

نفس اليوم والساعة...

ونفسه .. إلا قليلاً...

إلا هي...

لم تعد نفسها...

الشمعة

" يبدو أنهم لن يجيئوا هذا العام أيضًا...

هكذا حدثت الأم نفسها وهي جالسة في منزلها تنتظر بشوق أن ترى أولادها أو تسمع حتى صوتهم عبر الهاتف، فمنذ أعوام لا تعرف لها عددًا ولم تمهلها أعوامها – التي تخطت الثمانين – القدرة على حسابها، لم تراهم أو يأتوا لزيارتها أو حتى السؤال عنها بخطاب أو رنة هاتف...

كثيرًا ما مرّ عليها الشتاء باردًا... قاسيًا دون أن يؤنسها صوت أيًا منهم ويبعث في أوصالها دفء الأمومة ...

ويجيئها الصيف بحرارته الملتهبة فلا تأبه به، لأن مشاعرها الملتهبة دائمًا أكثر حرارة من أي صيف...

خمسة من الأبناء...هجروها جميعًا..

فقدتهم واحدا تلو الآخر، لأن كل منهم شق طريقه في بحر الحياة القاسي..

ربما سقطت سهوًا من عقولهم وقلوبهم في زحمة الحياة ...

هم دائمًا داخل حياتها...يتقافزون هنا وهناك في محيط ذكرياتها..

- كم كانت ولادة عسيرة حقًا كما قالوا لها :" البكرية دايما كده"

وكان (ممدوح) أول بسمة تطفو فوق سطح عالمها البكر، لم يضايقها يوما ؛ لذا أحبته عن باقي إخوته...

ولأن الحروب تفقدنا كل ما هو جميل ولا تترك سوى الخراب...لذا فقد أخذت الشهيد ممدوح...

"لقد مات بطلاً ..وهذا يكفيني" هكذا واست نفسها، وعلى خديها انحدرت دمعتان...

وتخرج (فريد) في كلية الطب وعرض عليها السفر ليتم دراسته في أوروبا... فلم تمانع...

أقسم لها أن خطاباته لن تنقطع ...لكنها انقطعت...

أكد لها أنه سيعود ..وما رأته مرة أخرى...

ولأنه قدرها لم تعترض..ولن تعترض حين طلب منها (أحمد) السفر لإحدى دول الخليج ليستفيد من دراسته لهندسة البترول ويعمل هناك..

ذكرته أنها أمه ...

إنه لا يجب أن يحذو حذو أخيه المهاجر..

رويدًا رويدًا قلت زياراته ومكالماته حتى صارت "بظروفها"
كما يقال عليها

كيف لها أن تنسى تلك الأيام التي لم تذق للنوم طعمًا حين تعرض (محمود) لحادثة في الطريق كُسرت على إثرها ذراعه..

- سفيرًا يا محمود !!!
- ولمَ لا يا أمي ؟ هكذا أجابها الشاب المتلئ بالطموح...

وبالرغم من كل شيء صار محمود سفيرًا، كما صار البقاء في بلده أمرًا مستحيلاً..

ودعته هذه المرة دون أن تذكره بألا ينساها ..لأنه نسيها بالفعل...

لم يحتمل الأب فقدان أولاده ...ففارق حياتهم ليلحق بابنه الشهيد عله يجد لديه الوفاء الذي فقده من إخوته..

تركها وحيدة في منزل مليء بالحجرات الخاوية

تركها تودع ابنتها الوحيدة إلى بيت زوجها المدرس بإحدى دول الخليج...

سافرت (منار) .. وسافر معها أمل الأم الأخير في حياة دافئة

- لماذا لم تتصل ؟ ألا تعرف أن اليوم هو عيد ميلادي ..ألا يدفعها الشوق أن تقول: كل عام وأنتِ بخير يا أمي

تمنت أن يطيل الله عمرها لتصبح جدة يلعب أحفادها حولها ليحيلوا حياتها بهجة وسعادة، والعمر يطول دون البهجة والسعادة..

كما عددهم الآن ... خمسة.. سبعة أو ربما أكثر...

لا تدرى .. فلم تراهم قطّ..

على ضوء الشمعة انهمرت دموعها وسط حشد الذكريات الذي لا تملك سواه...

ما الذي دعاها أن توافق على رغباتهم ؟ ما المانع أن يدرس أحمد الصحافة بدلاً من هندسة البترول، أو يصبح محمود محاميًا بدلاً من سفير !!!

ربما لو فعلت هذا لكان حالها أفضل...

ماذا لو سقطت الآن..هل ستجد أحدًا بجوارها أم تظل أيامًا حتى يقتحم عليها الجيران المنزل بعد تتصاعد رائحة الجثة..

أرعبتها الفكرة..

حاولت طردها بشتى الطرق فلم تقدر..

الشمعة تحترق فيتساقط السائل منها ؛ ليعود فينصب من جديد في ذلك الحاجز المحاط بها ، فتظل مضيئة دائمًا

ولتحترق دائما دون أن يأبه بها أحد ..

أمسكت بها وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة شاحبة...

كم أحبت هذه الشمعة التي تذوب لتعود فتصب من جديد ..

وتحترق لتذوب فتصب مرة أخرى

تحترق وتحترق ... فقط لتضئ...

جملة
واحدة

" كأنهما يحملان أطنانًا من الحديد تثقلان جفنيه..

لم يعد بمقدور الحملقة في تلك الوجوه الهلعة ذات الشحوب الضارب بجناحيه أرجاء الغرفة..

حتى أصابع يده لم يقدر على تحريكها..

حرارته ترتفع شيئًا فشيئًا

خلية من المعاطف البيضاء تدور حوله محدثة ضجيجًا يعرفه الجميع..

إنه التشبث بالأمل الواهي...

إنه المحاولة اليائسة لقهر مالا يمكن قهره.. الصرخة الأخيرة قبل إعلان الهزيمة.

تسلل إليه ذلك الوافد الجديد ..أصابه في غفلة من الجميع..

يجذبه نحو الشاطئ الآخر رويدًا رويدًا ..كما يزداد طنين المعاطف البيضاء..

جسده الواهن ... ويداه المرتعشتان ... ورجفة تعلو شفتيه، كلها دلائل لا تخطئها العين..

يأبى الفتى أن يغادر دون أن يدمي القلوب دون أن يتخطى حاجز الموت..

يده اليسرى تحاول جاهدة الاستقواء بشيء ما

تخونه ليسقط متهالكاً على سريره..

يده اليمنى تتشبث بتلابيب صاحبه .. يجذبه إليه بما تبقى لديه من عزيمة..

جملة واحده .. يهمس بها في إذنه ...

جملة واحدة ..ترتعش شفتاه محاولة ترتيبها

جملة واحدة ...صاغها قلبه وعقله.. كما عاش من أجلها سنوات عمره القليلة

جملة واحدة.. انسابت من أجلها الدموع.

" ليس لنا سواه يا صديقي .. ليس لنا سواه بعد الله ..

إنه الميدان فلا تتركه أبدا حتى يقضي الله أمرة كان مفعولاً "

ثم فاضت روحه.

إهداء لشهيد التحرير:

هذا الذي توفى وهو يحلم..

ومازلنا معه نحلم.

ما زال
باقياً

إهـــــــــداء

وحدهم يعرفون أن الحياة لا تساوى لديهم أكثر من

موقف...

إما أن يجتازوه بقواعدهم...

أو يلاقوا في سبيل ذلك ما يلاقوا...

إما أن يكسبوا أنفسهم...

يشعرون بذواتهم ...

يتنسمون عبيرهم ...

أو يهلكون ...

بفخر ...وكرامة...

واحترام...

إليهم أهدى كل ما أملك

موقفي.

(١)

"- ضميري غير راضٍ ...!

صدمتني العبارة ... زلزلت ما تبقى بداخلي من ثبات، أو ما كنت أظنه ثباتًا...

ذلك الشاب ... لم يتجاوز عقده الثاني يطلقها مدوية .. وأين؟ في مكتبي..

- أنا رئيس التحرير... وهذا ليس عرضًا بل هو أمر.
- وأنا لن أفعلها .. إما الحقيقة وإما لن أكتب شيئًا...
- أغرب عن وجهي إذن... موقوف عن العمل أنت.

بكل حنق الدنيا ألقيتها عليه، وكلي ثقة في عودته بعد أن يرى مستقبلة مهددًا ..

إما أن يكتب ذلك المقال أو يرحل...

وليبحث عن جريدة معارضة أو ينضم إلى كتيبة العاطلين..

ما المانع في القليل من تجميل الواقع.. مجرد تحسين!

يسميه هذا الغبي تزيفًا...نفاقًا...محاباة..

من أين أتى بهذه الكلمات..؟!

من طيات الكتب...لم تعد ذات قيمة

قيمتي هي ما سوف أجنيه من كتاباتي.. هذا هو مبدأ الصحفي الناجح.

ليس عيبًا أن أبحث عن مصلحتي .. ما دخل الضمير في ذلك الأمر.

مجرد شاب متهور..لا يعي ما حوله.

أرى مستقبله بعين الخيال..لا مكان له في هذا العالم.

(٢)

"– حبيبتي لقد قلتها.. وأرحت ضميري.

- وهل تظنه سيقبل هذا الوضع..؟
- لا يهمني.. مادمت لم أخالف مبادئي ..
- وهل مبادئك هذه ستزوجنا.. ستنهي خطبة ثلاث سنوات.. لقد تعبت.

تصدمه كلماتها.. تزلزل ما بداخله من ثبات...

حسبها مثله.. في زمن اختلطت فيه القيم.. زمن بلا ضوابط.. بلا معنى.

ظنها ذات مبدأ.. تؤمن بالمُثل.. تثق بالضمير..

ذلك الأنا ... الأعلى !

يــا له من واهم.

ثورة من الغضب عصفت به...

ثورة من الثورة عصفت بها...

طالبها بحبها.. بما ظنها تؤمن به.

طالبته بالشقة.. بالمهر.. بأن يرضخ لأوامر رئيس تحريره...

- أخالف ضميري.. أكذب.. أزيف.. أتنازل..!

- ولم لا.. الكل يفعل هذا.. لم لا تفعله؟!

- وإن لم أفعل..

- لن نستمر معًا بهذه الطريقة..

- وما العلاقة بين الأمـرين.. هـذا مجـرد خـلاف.. مـسألة مبدأ.

تتغير تعبيرات وجهها بعد أن سأمت جدالـه.. يـسقط عنهـا قناع الزيف..

تتطاير كلماتها لتدمي قلبه..

قلبه الذي طالما أحبها..أخلص لها..

لم يجد لها بديلاً.. ولا فكر مطلقًا بذلك..

بهره أنها كانت تصغي لما يقول.. مجرد إصغاء!

أنها تمنت يومًا أن تصير مثله.. مجرد أمنية!

شعر بأن هناك من يتمنون للحياة أن تصير أفضل.. وأفضل ..

بالكثير مما يؤمن به.

حتى هي تخدعه.. توهمه.. تحاول كسبه..

فقط لأنه الأفضل – من وجهة نظرها –

لكنه أحبها.

مثلهم هي.. لم تؤمن يوما بما يثق به.

"دبلتها" حول إصبعه صارت طوقًا من نار..

يحيط برقبته...

نزعها.. وبكل أدب ناولها إياها.

(٣)

" ما فائدة أن يكسب الإنسان العالم مقابل أن يخسر نفسه " *

- نهى الزينى -

على غلاف إحدى المجلات قرأها ...

ابتسم بفخر ...

هز رأسه ومضى .

---

* نهى الزينى دكتورة ومستشارة مصرية "نائب رئيس هيئة النيابة الإدارية"، كانت ضمن القضاة المشرفين على مراقبة الانتخابات مجلس الشعب عام ٢٠٠٥ عن دائرة دمنهور بمحافظة البحيرة.

مأساة

في البدء...
أحياناً يشعر الإنسان أن ما يحياه ليس ما كان
يتمنى
أن يكونه...
الفرق شاسع بين ما أنت عليه، وما تتمنى أن
تكون عليه ...
مكمن الخطورة هنا أنك قد تفاجأ بشخص
غيرك يطل عليك من المرآة حين تقف أمامها.
"إلى كُل من فقد حلمه في سبيل الواقع"
أُهدى هذه التنهيدة...

(١)

" – أهذا أنا   لا يمكن !!

ليس هذا وجهي.. أهذه تجاعيد التي تكسو جبهتي؟

وما هذا ؟ هل هو تورم أسفل عينيّ .. نعم هو كذلك بالفعل.

ثمة شعيرات بيضاء على جانبي رأسي... يا للبشرى أصبحت أشيب الفودين، يا لها من كلمة تشعرني بأنني قاربت الخمسين من عمري .

ولكن لست أنا الواقف أمامي في المرآة.. لست أشعر بأنني ذلك الشخص الذي يحمل ملامح قاربت على الكهولة، ويحمل روح كهل بالفعل مع أنني في منتصف الثلاثينات.

هل شعرت أن عمرك قد سُرق منك ؟

هل شعرت أن ما كنت تود أن تحققه لم يعد له وجود في حياتك، وكلما حاولت تحقيقه تجد ألف عائق وعائق حتى يمر العمر دون أن تحقق شيئًا...

شتان بين ما تحب أن تحقق ... وبين ما يجب تحقيقه.

ليس للأمر علاقة بالفلسفة لكنه واقع الحياة، أراكم تتساءلون: وما لنا وحياتك ؟

بل من أنت حتى تشغل حيزًا من تفكيرنا؟

ليست حياتي وحدي ... وليست مأساتي وحدي..

إنها مأساة جيل..

مأساة كل الشباب أو لنقل: غالبية الشباب..

كيف وصلت لما أنا عليه الآن؟!

أذكر أنني كنت أنتظر نتيجة الليسانس بفارغ الصبر ؛ كي أبدأ حياتي التي أتمناها، فحصلت عليه ولكن دون ما أتمنى...

على حين غرة اصطدمت بالواقع؛ فأسقطني أرضاً وانهال عليّ ولم يرحمني.

وكلنا يعرف الواقع ... واقع شاب حديث التخرج يسعى لتكوين ذاته..

يتمثل واقعي في أب لا يكف عن مطالبتي بالعمل وبناء المستقبل، وأم لا تمل من الدعاء لي كلما مررت من أمامها، لتشعرني بمدى تعاستي، وبحجم مأساتي، وشلة أصدقاء ليس لديهم ما يحترفونه سوى الجلوس على المقاهي والتسكع

في الشوارع حتى ساعات الفجر الأولى، بعد أن حصل كل منهم على شهادته.

وبنت جميلة أحببتها.. وتعاهدنا على الزواج تحت ظل شجرة...

وأسعار تشتعل من حولك كل يوم، وأنت لا تقدر على قوت نفسك...

وفضائيات تحاصرك من جميع الجهات، لترى كل شيء "يهز" ويهتز ليربح ويكبر...

إن من يمارس "العولمة والشفافية " في الأخلاق والملابس هو من يجني ويجني ...

أليس هو الواقع...؟

هذا هو الواقع الذي أسقطني أرضًا، أما الذي انهال عليَّ ولم يرحمني حين علمت أن من عاهدتها على الزواج، تزوجت غيري رغمًا عنها..

لم يقاوم أهلها إغراء السيارة أو الفيللا التي دخل بها العريس تلك الصفقة...

شعرت أنني لم يعد لي وجود في بلدي، ولأبحث عن واقع آخر في بلد آخر.

وسافرت..

يا لها من يسيرة حين تنطقها، وكم هي مريرة حين تعيشها...

كم تحمل في طياتها من الاغتراب ... والتشرد ... والألم ...والمعاناة.

كم تحمل من الذل والمهانة ..

تحمل خوفًا لا مثيل له ... وحنينًا لوجوه قد لا أراها ثانية

وجه أبي الذي لم أشيع جنازته...

وجوه أصدقائي التي تطاردني حين تجد رأسي مكانًا لها على الوسادة...

ووجهي الذي لم أعرفه بعدها !

معانٍ كثيرة تجتاحني كلما خلوت بنفسي ..

معنى أن تقاسي الجوع والبرد والخوف دون أن تجد أحدًا حولك

معنى أنك قد تموت كأي كمٍ مهمل دون أن يطلق أحد آهـة ألم أو يحني رأسه في حزن..

أن تعمل أي شيء وكل شيء، فقط لتنسى ما بداخلك..

أو لتقتل ما تبقى منك ...

أن يُسرق عمرك كله دون أن تشعر، ففـي سـبيل المستقبل قـد يضيع بعض الماضي... وكل الحاضر.

وها قد عُدت لأعـوض مـا فـاتني، سـأذهب للـزواج مـن بنـت جميلة تصغرني بأعوام عديدة..

ربمـا خمـسة عـشر عامًـا... ولـن يعـارض أهلـها فهـم ككـل الأهالي، لن يقـاوموا سـيارتي أبـدًا... ولا أي فـيللا مـن تلـك التي أملكها ، أكاد أُجزم أنهم سيوافقون على الفور.

أما هي... ربما تعارض ... ربما عاهدت حبيبها على الـزواج تحت ظل شجرة.

ربما أخـرج دبوسا مـن جيبـه ووخـز بـه إبهامهـا وإبهامـه ليمزجا دماءهما معًا، ظنًّا منه أن هذا رباط مقدس بينهما...

يا له من مغفل... سيغضب ... ويثور ... ولن يرى في الحيـاة إلا لونًا واحدًا.. قاتماً وكئيبًا.

بعدها سيعرف أن الربـاط المقـدس هـو سـيارة تـسد مـدخل الشارع ورصيد في البنك لا يجد الوقت الكافي لحسابه

(٢)

- ما رأيك يا عمي فيما عرضته عليكم... لا يهمنـي أي مبلـغ "للمهر"، أما الشبكة فسوف أشترى للعروسة كل مـا تختـاره بلا حدود، ولكني متعجل؛ لذا أود أن يكون "كتـب الكتـاب" في أسرع وقت.

- ليس لدى أي مانع يا بني، فالمال هو آخر شيء ننظر إليه، نحن "نشترى راجل"

أليس كذلك يا أم العروسة ...

بضحكة مفتعلة قالت

- صدقت يا حاج "إحنا بنشتري راجل".

- "يا لكم من منافقون" هكذا نطق لسان حالي...

- على العموم أين العروسة ؟ ألن تجلس معنا يا "طنط" ؟

- حالا يا بني سوف أناديها.. أنت تعلم خجل البنات..

- أعلم بالطبع أعلم ..

أعلم أنها سوف تدخل حجرة ابنتها لتجد انهيارها التام!!!

بكائها الذي أفسد زينتها...

مساحيق الزيف التي ظلت أمها تلطخ به وجهها...

وروحها..

- ليس له مثيل صدقيني ... لن تجدي خيرًا منه..

هززت رأسي لأطرد تلك الهواجس عنها، ما يهمني هو عقد القران ولا شيء آخر...

ها قد أتت العروسة وعلامات البكاء قد رسمت خطوطًا عريضة على وجهها، لم تفلح كل مساحيقها وابتساماتها المتكلفة في إخفائه ...

تجاهلت ذلك ومددت يدي لأُسلم عليها، ثم جلستْ بجواري

ابتسمتُ لها ملاطفًا حين لمحت ما كنت أبحث عنه..

أشرت إلى إبهامها متسائلاً

تنحنحت ثم قالت   جرح بسيط هذا الصباح ، ولكن كيف لاحظته؟

تجاهلت سؤالها قائلا: بدبوس !!

اتسعت عيناها ولسان حالها يصرخ كيف عرفت !!

اتسعت ابتسامتي وأزدادت ثقة وأنا أُكمل   تحت ظل شجرة !؟

تدلى فكها السفلى في بلاهة، وشحب وجهها منتظرة أن ألقي عليها رصاصة الرحمة

حينها صرت على وشك النطق بالحكم وقد استطالت هيئتي..

وتمددت ملامحي ..

كما ابتلعت ابتسامتى وجهي كله...

وصرخت روحي منتشية، ونطقها لساني

- إذن فالفرح الخميس القادم..

---

* حصلت على المركز الخامس على مستوى جامعات مصر في ملتقى أدباء الجامعات المصرية ٢٠٠٤ بجامعة المنصورة

ما زال دفء
يديك بين
أصابعي

(١)

تعلوها ضمادة هائلة من "الشاش" الطبي راحت تهتز بمنة
ويسرة..

رأسه التي تزن أطنانًا هائلة من الصداع، لم تفلح معه مئات
الحبوب أو حتى حقن التخدير والعمليات...

يقبع اللعين داخل رأسه...

يتمدد بسرعة مجنونة يسحق خلايا مخه بلا هوادة...

ينتشر ليسقط جميع دفاعاته...

يسحب جميع حواسه إلى العدم...

يلقي عليها بظلاله القاتمة...

يحيل بريق عينيه ظلامًا دائمًا...

يحيل ابتسامة شفتيه أنينًا مكتومًا...

أو ربما صرخة مدوية يطلقها بين الحين والآخر..ينخلع لها
قلب أمه البائسة

قابعة جوار فراشه حيث تحيط به الأسلاك من كل اتجاه....

تنظر للسماء وعلى شفتيها كلمة واحدة.... يا رب

(٢)

سافر أخي..حاملاً أحلامه داخل قلبه...

عله يأتي بغد أفضل ...

زوجة وأطفال....

منزل جميل وسط قريته الريفية الهادئة ...

سافر أخي...

عمل في كل شيء..وأي شيء...

واصل الليل بالنهار...

لم يهدأ له بال...

تدهورت صحته ... انقلب حاله..

لم يبال..

لم يعد يسمع سوي أنين "الديون" التي تحيط به وبأسرته...

تراكمت لفترات عديدة... وصار لزامًا عليه سدادها !

سافر أخي...

وهناك تسلل إليه..

رويدًا...رويدًا حطم اللعين دفاعاته، لم يقاوم..ربما لم يجد وقتا للمقاومة...وسقط أخيرًا..

حاول أخي...

أقسم بالله أنه حاول أن ينقذ نفسه..أن يسيطر عليه..لا جدوى...

ساءت الحالة كثيرًا...

زياراته للأطباء صارت أكثر من فترات نومه، ذلك أنه لم يعد يعرف للنوم طعمًا أو طريقًا، والحالة في انهيار سريع...

ازداد وجهه شحوبا...

نقص وزنه بشكل مريع...

لازمه الصداع طوال يومه...

وعاد أخي....

عاد...وعلي وجهه ابتسامه!!!

ابتسامة تملأ وجهه..وقلبه...

لأنه بيننا...

في بيته..وسط أهله ووطنه...

سعداء نحن...

وسعيد هو...

نسمعه..ويسمعنا...

نراه..

لكنه لن يرانا أبدا...

تمكن اللعين منه...

أطفأ نور عينيه للأبد..

(٣)

قبع الجسد الواهن في المستشفى...

شهر كامل يقاسي أعتى معاني الألم...

تتثاقل أقدامي حين يحين الوقت لألقي نظرتي عليه...

أسحبها بكل ضعف..أكاد أسقط أرضا...

أدلف للحجرة أخيرًا..

أقترب منه...أهمس في أذنه...

أخي...

أنا بجوارك...

تهتز رأسه...

يبحث عني...

يحاول أن ينطق شيئا...

تخرج منه أصوات مبحوحة...تفوح منها رائحة الألم...

مزيجا من الأااااه.... والـ ممممم مخنوقة... مبتورة ...

تمزق نياط القلب...

أقترب من يده...

أمسكها وبكل رفق أحتضنها بكفي...

يرفع يده الأخرى لتحيط كفي...

يضغط عليها بما تبقى لديه من قوه ...أو ضعف...

دافئة هي ...

تحمـــل فيـــضًا مـــن ذكريـــات تنـــساب داخلـــي...أيـــام

طفولة..وشباب...

ذكريات المكتبة...

والنادي...

ومدرستي الثانوية...

أيام الهزل..والجدية...

والجنون...

أخي...

كـــم كنت رجلاً...وقت الشدائد.

كـــم كنت سندًا...وقت الضيق.

كـــم كنت ظهرًا... انكسر بعدك.

تغافلني دمعة..تسقط من عيني لتلهب روحي..

علي أرضية الغرفة ...حيث ينتهي كل شيء.

(٤)

مـــازال دفء يديك بين أصابعي...

مـــازال وجهك يؤنس أيامي...

مـــازال قلبك يحادثني كثيرًا...

مـــازلت معي دومًا يا أخي الصغير...

لو مر على رحيلك عشـــــرات السنين...

لم تعد

إهـــــــداء

إليهـــــــــــا...

هي وحدهـا التي تعرف...

هي وحدها فقــط...

تلك التي لم تعـــــد...

تلك البراءة التي لم تعد...

كالطفل تتهادى... تتمايل... تتغنى... وتضحك.

يا للعجب..ضحكتها !!!

أسطورة.. لوحة بيضاء، شديدة الصفاء..

معجزة تولد على شفتين!

فيض من الروعة الممزوج بالذهول..

فيض من النشوة .. يصعد بي إلى الأعلى..

يرق جسدي.. يصير بشفافية ضحكتها.. فيلامس السحائب،

ويختلط بزرقة السماء..

وأفيق على فيض من الكلمات..لا ليست كلمات، بل هي..

أمواج بحر صافٍ في ليلة مقمرة..

نسمات صيف تدغدغ إحساسي..

زهرات ربيع تتفتح للندى..

فراشات..فراشات مختلفة الألوان.

أتمايل .. أتهادى .. أذوب.. ثم أسقط صريعًا

وأفيق..على كلماتها!

تحادثني..تلك الملاك يحادثني أنا.. يا لحظي!

أستشف من الحديث أروع ما فيها..روحها.

روحها..تملؤني عجبًا..وفخرًا. وحبًا .. وحزنًا!

روحهـــــــا..ضـــــــائعة بـــــــين حطـــــــام

الكذب..والنفاق..والظلم..والقهر...

تائهة..بين جنبات هذا الكون...

روحها..لا تمت لعالمنـا بـصلة..لم أر مثـيلاً لهـا بـين طيـات

الأرض...

كم هو قاسٍ هذا الزمن...

يـشعرها بمـدى اختلافهـا..تفردهـا...حنينهـا لمـا لـيس لـه

وجود...

حنينها للحب..للوفاء..للتضحية...

في سبيل ما تؤمن، تبذل كل غال وعزيز...

حنينها للأخ..للحبيب..للزوج...

حنينها لعالم آخر..شـعاره القـيم..أساسـه الإيمـان..منهجـه

العدل...

حنينها لعالم مثالي..خال من الخوف...

يا لقسوة هذا العالم...

ويا لرقتها..هدوئها..جمالها...

ذلك الجمال الممزوج بالهدوء...

وذاك الهدوء الممزوج بالخجل...

تذوب خجلاً إذا ما أمعنت النظر إليها...

تتـوه نظراتهـا في مختلـف الأرجـاء إذا مـا لاقـت عينـاي عيناها...

هدوئها..ذلك الكائن غير المحسوس...

يشعرك أنها غير مادية..أنها طيف..روح...

أو أنها ومضة!

نعم هي كذلك.

تومض بقلبي..بعقلي..تلمسني لمسة ساحرة.

تحيل حياتي جنة.. في لمحة!

هكذا بكل بساطة...

بكل بساطة!

ليس هناك أبسط منها...

كخيط بين أناملك...

كالخط المرسوم على حائط..

كقلب مليء بالخشوع...

كالوليد..حين تقبض يده على إصبعك الممدود...

يا لروعتها...

لم أقدر على الكلام...

لم أحدث ملاكاً من قبل، لم يعد هناك بشرًا يحملون هذا القلب...

يملكون هذه الروح...

يكفي أن تراها حتى تتبين روحها...

شفافية..نقاء..صدق...

تغشاك شخصيتها..تحيطك في ثوان..

تصبغ روحك بالطهر..

تتوحد بك.. وتحتويك..

لذا تفقد كل شيء حولك..ما عداها..

تنعدم حواسك..يضطرب عقلك..تتطاير أفكارك..تختلط ذكرياتك..تماماً كالحلم!

ثم تمضي..كما جاءت!

لتظل دائماً.. ومضة.

الفهرس

لَمْ تَعُدْ

تغشاك شخصيتها..تحيطك في
ثوان،
تصبغ روحك بالطهر..
تتوحد بك.. وتحتويك..
لذا تفقد كل شيء حولك..ما
عداها..
تنعدم حواسك..يضطرب عقلك..
تتطاير أفكارك..تختلط
ذكرياتك..تمامًا كالحلم!
ثم تمضي..كما جاءت!
لتظل دائمًا.. ومضة..

تصميم الغلاف/عبد الرحمن الصواف



رواية للنشر والتوزيع